انتظارات برامج الإرشاد النفسي التربوي في المدارس والمعاهد التونسية بين الواقع والمنشود

دراسة ميدانية على عينة من المتعلّمين والمرشدين التربويين

The expectations of psychological counseling programs in Tunisian schools and institutes between reality and desirable

Field study on a sample of learners and educational counselors

د. سعيد الحسين عبدولي

باحث في العلوم الاجتماعية-تونس

الملخص:

إن العلم قدر كل المجتمعات وتوقها الأبدي إلى مسايرة العصر بكل تعقيداته، ولا يمكن للمعرفة باعتبارها انتاجا فكريا تستهدف الانسان إلا أن تكون أحد هذه الوسائل لتحقيق التقدّم. فالعملية التربوية هي مسؤولية مشتركة بين جملة من المكونات الفاعلة في المجتمع المتباينة في مراتبها الوظيفية، والمتحدة في مقاصدها. ذلك أنه لا يمكن دراسة الواقع التربوي في العالم العربي بمعزل عن جذره التاريخي ومفتقدا لمقاصده المستقبلية، باعتبار أنه لا يمكن تقييم العملية التربوية دون الأخذ بعين الاعتبار مكونات الأطراف الفاعلة في المجتمع حتى نراها كاملة لا منقوصة. ومن ناحية أخرى فإن المتعلّم الذي يمثّل رأس المثلّث التعلّمي التعليمي وفقا لأدبيات التعلّم الحديثة بحاجة إلى احاطة نفسية وتربوية قصد تحقيق جملة من الغايات التي تساهم في انجاح العملية التربوية من ناحية وتحقيق التقدّم مثلما ألمحنا إلى ذلك سلفا.

إذا ما تفحصنا كل هذه المعطيات التي تبرز ارتباط الفاعل الاجتماعي بالمجتمع ككل، فإنه من الأهمية بمكان أن نذكّر بأن عملية الاصلاح التربوي التي حصلت في البلدان العربية رغم الاختلافات الجوهرية في البرامج والمناهج لا تزال بحاجة ماسة إلى دراسات ميدانية معمقة قصد تجويدها وتصويبها بما يلائم المشروع الكلي للمجتمع ألا وهو تحقيق النضج المعرفي الذي هو شرط الرقي.

فضلا عن هذا وذاك، فإنه لا مناص لإدراك تلك الغايات دون الاهتمام بالمتعلّم، وهي مهمّة موكلة على عاتق صنّاع القرار قصد تحقيق الانسان النوع. باعتباره المحرّك الأساسي لعملية التطوّر وبالتالي فإنه بحاجة إلى إحاطة نفسية وتربوية شاملة، تراعي خصوصياته البيولوجية (باعتباره طفلا أو مراهقا) وانتسابه للفضاء (الأسرة والمجتمع) فضلا على تصوراته للمدرسة خاصة في ظل واقع

Abstract:

Science is the destiny of all societies and their eternal longing to keep up with the times with all its complexities. Knowledge cannot be an intellectual production aimed at man but one of these means to achieve progress. The educational process is a shared responsibility among a number of active actors in the diverse society in their functional ranks, united in their purposes. The educational reality in the Arab world cannot be studied in isolation from its historical roots and it is lacking its future goals, since the educational process cannot be evaluated without taking into account the components of the actors in the society, so that we see them as incomplete and incomplete. On the other hand, the learner who represents the head of educational learning triangle in accordance with modern learning literature needs to be surrounded by psychological and educational purposes in order to achieve a set of goals that contribute to the success of the educational process on the one hand and to achieve progress as we have already indicated in advance.

If we look at all of these facts, which highlight the link between the social actor and the society as a whole, it is important to mention that the educational reform process that took place in the Arab countries despite the fundamental differences in the programs and curricula is still in urgent need of in-depth field studies to improve and correct them to fit the overall project For society to achieve cognitive maturity which is the condition of advancement.

In addition to this, it is imperative to realize these goals without attention to the learner, a task entrusted to the decision makers in order to achieve the human kind. (As a child or adolescent) and his affiliation with space (family and society) as well as his perceptions

مشحون بالتوترات وكذلك الارتباك من المستقبل (التصورات والتمثلات للفاعل المدرسي) وجميع هذه الخاصيات تستدعي توفّر عنصر الاحاطة النفسية والتربوية من طرف الأخصائيين قصد الاحاطة الشاملة به ومساعدته على تخطّي كل المعوّقات التي تحول دون نموّه المتوازن والسليم.

على هذا النحو فإن أبرز ما يميز البلدان المتحضرة (التجربة الفلندية والسويدية كمثال) هو اهتمامها بالجانب النفسي والتربوي للمتعلمين في كافة المراحل التعليمية، إذ سخّرت أقصى امكانياتها العلمية والمادية من أجل بلوغ مقاصدها

حتى أن مقارنتها بواقع الحال في عالمنا العربي يعكس اتساع البون الذي ازداد عمقا عمّا كان عليه الوضع في النصف الثاني من القرن المنقضي أي بداية بناء الدول الوطنية.

of the school, especially in light of the tense reality as well as confusion of the future (perceptions and representations of the school actor) and all These characteristics call for the availability of the psychological and educational component of the specialists in order to comprehensively inform him and help him overcome all the obstacles that prevent his balanced and sound growth.

As such, the most prominent characteristic of civilized countries (the Finnish and Swedish experience as an example) is their interest in the psychological and educational aspects of learners in all educational stages, as they harnessed their maximum scientific and material potential to achieve their purposes

Even compared to the situation in our Arab world

مقدمة:

إنه بتطويرنا للمعارف الإنسانية على اتفاق أهدافها واختلاف موضوعاتها إنما نأمل إلى اكتشاف الإنسان النوع، الآخذ بأسباب الحضارة والمدنية العصريين في سياقهما التطوري. ذلك أن الإنسان هو الهدف الأسمى لأي حقل معرفي، الذي يعدّ بدوره المحرّك الأساسي لعملية التقدّم. ولكن عندما يتعلّق الأمر بخلق الإنسان -بمعنى الفعل القصدي لأي برنامج معرفي يستهدف الاعتناء بالفاعل والإحاطة به-فإن الجهد يكون مضاعفا في عملية بلوغ تلك المقاصد الحضارية التي تأخذ بعين الاعتبار خصوصية الفرد باعتبارها تتأثر بعدّة معطيات، الأمر الذي يستدعي تدخّل معارف ومهارات تعنى بتذليل هذه الصعوبات.

ويطالعنا في هذا الشأن أن المجتمعات التي بلغت مراتب ريادية في سلّم المعرفة وخلق مجتمعات راقية بامتياز، راهنت منذ وقت مبكّر على الاستثمار في الإنسان الذي وصفناه بالنوع. وهو جهد مركّز يبدأ من الأسرة ويتدعّم في المؤسسة التربوية. وما دام الأمر يتعلّق بتنمية طاقاته وتوجيهها بما يعود بالنفع على المجتمع ككل في مسارب التقدم، فإن الإرشاد النفسي التربوي يعدّ في مقدمة البرامج المعرفية والتطبيقية التي تعنى بالمتعلمين.

وفي نفس السياق، فإن واقعنا العربي الإسلامي بحاجة ماسة إلى مراجعة مكتسباته التعليمية التي تشكو تأخرا وتعطلا كبيرين، مقارنة بالبلدان الرائدة في هذا المجال وما آلت إليه من نضج

بفضل التعليم الذي لا يزال يخضع إلى عمليات تعصير مستمرة لتواكب مقاصد المجتمع نحو الأفضل، فكان في مقدمتها برامج الإرشاد النفسي التربوي.

من هنا فإنه لا يمكن دراسة واقعنا التربوي مجتزئا عن سياقه التاريخي، واستشراف مستقبله بمعزل عن حاضره ومنقطعا عن جذره التاريخي وبعده الحضاري. ذلك أن معالجة مسألة التعليم لا يمكن أن تتم دون ربطها بدلالتها الاجتماعية بعيدا عن سياقها التجريدي من أجل تحقيق قراءة موضوعية، بما لها من إمكانات تؤثّر على مساراتنا التحديثية المستقبلية. كل ذلك معناه أن دراستنا ستنصب على برامج الإرشاد النفسي التربوي من خلال دراسة ميدانية على عينة ممن لهم صلة بالإرشاد النفسي التربوي في تونس وكل ذلك من أجل تقصّي أبعاده، تجلياته، حدوده، خاصة في ظل انتقادات كثيرة موجهة للنظام التربوي التونسي.

إذا، فدراستنا ستعنى ببرامج الإرشاد النفسي التربوي في المؤسسات التربوية التونسية بين الواقع والمنشود، أي والحال تلك سنسعى من خلال بحوثنا الميدانية واطلاعنا على مجمل الدراسات الأخرى في هذا المجال، أن نعنى بدراسة واقع الإرشاد النفسي التربوي في المدارس والمعاهد التونسية منذ ميلاد أول برنامج إصلاح تربوي سنة 1958. وتقييم ذلك من خلال رؤية نقدية استنتاجية. وسنستعين من أجل بلوغ تلك المقاصد بوثائق إحصائية من المؤسسات التربوية التي شملها البحث.

1. التأسيسات النظرية المتصلة ببرامج الإرشاد النفسي التربوي:

1.1 تعريف المصطلحات:

1.1.1. تعريف الإرشاد النفسي التربوي

أمكن أن نوجز تعريف الإرشاد النفسي التربوي في أنه جملة المجهودات التي يؤديها المرشد في مؤسسات التعليم قصد الإحاطة الشاملة بالمتعلمين ويشمل جملة التوجيهات والرعاية بالمتعلمين ومساعدتهم على تخطّي الصعوبات التي تكون عائقا في عملية التعلّم والاندماج، فهو بذلك «العلاقة المهنية والصلة الإنسانية

المتبادلة التي يتم من خلالها التفاعل والتأثير والتأثر بين طرفين أحدهما متخصص وهو المرشد النفسي والآخر العميل (المسترشد)، حيث يسعى المرشد النفسي إلى مساعدة العميل لحل المشكلة التي يعاني منها".[1]

أما المرشد النفسي التربوي فهو أحد أقطاب عمليّة التعلّم التعليمية والذي وجب أن تتوفّر فيه جملة من المؤهلات العلمية والمهارية حتى يكون قادرا على الاضطلاع بهذه المهمة التي تجمع بين العمل الميداني من خلال صلته المباشرة بالمتعلّم والفضاء المدرسي عموما، والنظري عبر تطوير معارفه في المجالات المتصلة بنشاطه وخاصة علم الاجتماع وعلم النفس وعلوم التربية ناهيك عن عمله المخبري حيث يجري جملة الإرشادات ويجمع البيانات. مثلما يؤدي عديد السلوكات الإرشادية في المؤسسات التربوية التي يشتغل فيها قصد رعاية المتعلمين" التلاميذ"[2] وفي هذا الشأن " يقوم المرشد بمشاركة الطلبة حياتهم ويقابل ذلك من مـــتطلبات ومسؤوليات، وهذا يعني بأن مجال تقديم الخدمات الإرشادية يكون في إطار المؤسسة التعليمية وهو شامل لكافة الطلبة من الأسوياء وغير الأسوياء، إضافة إلى ذلك فإنه يشمل مجالات نموهم الجسدي والعقلي والنفسي والمهني والتربوي".[3]

وفي تونس لم يتم بعث خطّة واضحة تسمى المرشد النفسي التربوي رغم بعض المحاولات المتذبذبة حيت تم انتداب بعض المرشدين في التعليم الإعدادي والثانوي ولكن مهمتهم لم تتجاوز حدود العمل الإداري وتنظيم المتعلمين في الساحة. إلا أن مهمة الإرشاد النفسي التربوي رغم غيابها تخطّة بالمقاييس سالفة الذكر، بقيت حكرا على الإطار التربوي التقليدي أي المعلمون والمديرون في المدارس الابتدائية والأساتذة والنظار والقيمون والمديرون في المعاهد الإعدادية والثانوية. وهي في المحصلة لا يمكن أن ترتقي

1حسن إبراهيم حسن المحمداوي، محاضرات لمـادة الإرشاد النفسي والتربوي، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، قسم العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية، 2008.

2 نقول في أدبيات التعليم الحديثة المتعلم باعتباره مساهما في عملية بناء المعرفة وليس متلقنا مثلما هو الحال في التعليم التقليدي حيث يبلغ الطابع الإملائي على العملية التعلمية التعليمية، ذلك أن الفرق جوهري بين المتعلم والتلميذ. فالأول هو في رأس المثلث التعليمي التعلمي ويساهم في بناء المعرفة في حين أن التلميذ في يكون متلقنا وفي أسفل المثلث التعلمي التعليمي.

3 حسن إبراهيم حسن المحمداوي، محاضرات لمـادة الإرشاد النفسي والتربوي، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، قسم العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية، 2008.

إلى مجهودات المرشد النفسي التربوي مثلما هو في البلدان المتقدمة التي سجلت تفوقا معرفيا بفضل هذا الاختصاص مثل التجربة الفلندية الرائدة في هذا المجال.

1.1.2. تعريف هيكلة التعليم التربوي التونسي:

تتكون هيكلة التعليم في تونس وعلى غرار التعليم العالي، من التعليم التحضيري والابتدائي والإعدادي والثانوي.

وقد بلغ عدد المؤسسات التربوية في التعليم العمومي حسب إحصائيات السنة الدراسية(2010-2011) 5972 مؤسسة أي مجموع التعليم التحضيري والتعليم الأساسي والثانوي موزعين على 84510 فصلا دراسيا في حين بلغ عدد المتعلمين في المستويات الثلاثة 1998286 أما عدد المدرسين فبلغ 134979. أما في التعليم الخاص فقد بلغ عدد المؤسسات التربوية 400 مؤسسة يؤمهم ما مجموعه 79867 متعلما.[4]

1.2 عينة الدراسة:

1.2.1. مجتمع الدراسة:

مثلما ألمحنا إلى ذلك سلفا، فإنه لا توجد خطة واضحة في تونس تسمى المرشد النفسي التربوي ولا أي خطة موازية لها، وعليه بقيت مهمة الإرشاد من مشمولات المربين وإطار الإشراف. وعليه فإن مجتمع الدراسة هو كافة العاملين في القطاع التربوي وتحديدا المعلمون والمديرون بالنسبة للتعليم الابتدائي والأساتذة والنظار والمديرون والقيمون فيما تعلق بالتعليم الإعدادي والثانوي[5]، وهم موزعين على النحو الآتي:

جدول رقم1: توزيع الاطار التربوي والمؤسسات التابعين لها في مجتمع البحث سيدي علي بن عون

عدد المؤسسات	مراحل التعليم	المهنة	عدد المربين		المجموع
			ذكر	أنثى	
19	ابتدائي	معلم	112	100	212
		مدير	22	0	622

4وزارة التربية، الكتابة العامة، الإدارة العامة للدراسات والتخطيط، إحصائيات التربية، الجمهورية التونسية، السنة الدراسية 2010-2011،ص3.

5 بعض القيمون لهم تسمية مرشد تربوي.

6 هناك 3 مدارس بها مدير ومساعد مدير.

3	إعدادي	أستاذ ت ث	59	42	101
		مدير	3	0	3
		قيم عام	5	0	5

1.2.2 عينة البحث:

على اعتبار أن مجتمع الأصل الذي ستتم عليه الدراسة يتكون من عدّة تخصصات وظيفية موزعين على 3 أصناف من المؤسسات التربوية، فإنه حري بنا أن نختار العينة العشوائية الطبقية غير التناسبية، ومن أجل استقصاء ممثل للمجتمع الأصلي المتكون من 487 عنصرا فقد ارتأينا أن تضم العينة 20% من عدد العاملين من كل طبقة. لكننا لاحظنا في هذا الاتجاه أن عناصر العينة كان غير كاف لتمثيل الفئات التي كانت أعدادها منحفضة في صورة اختيارنا للعينة التناسبية.

جدول رقم 2 : عدد الوحدات التي تدرس اجباباتها في العينة

المهنة	عدد العناصر	عينة تناسبية 20% من العناصر	عينة غير تناسبية
معلم (ابتدائي)	212	41	34
مدير مدرسة (ابتدائي)	22	4	5
أستاذ ت ث (إعدادي)	101	20	18
مدير (إعدادي)	3	1	1
قيم عام (إعدادي)	5	1	1
قيم (إعدادي)	18	4	9
أستاذ ت ث (معهد)	105	21	19
مدير (معهد)	2	1	1
ناظر دراسات(معهد)	2	1	1
قيم عام (معهد)	2	1	1
قيم (معهد)	15	3	8
الإجمالي	487	98	98

مثل فئة مديري المدارس الابتدائية4.37 ومديرو الاعداديات 0.59 ونفس الأمر بالنسبة للقيمون والنظار مما دفعنا إلى الحفاظ على عدد العينة كما هو أي 98 عنصرا من كل الرتب التربوية مع تغيير عدد الأعضاء الذين ستدرس إجابتهم في كل طبقة من طبقات العينة وهذا التعديل سيمكننا من الحصول على أعداد مناسبة لتمثيل تلك المجموعات وهو ما نوضحه في الجدول الفارط.

1.3 منهجية الدراسة:

سنراوح بين المنهج الكمي والكيفي مع استخدام تقنية الملاحظة بالمشاركة والملاحظة المباشرة و المقابلة والاستمارة والبرنامج الإحصائيSPSS

1.4 الإشكالية:

1.4.1. الاشكالية الرئيسية:

هل أن برامج الإرشاد النفسي التربوي في المؤسسات التربوية التونسية كافية لتلبية حاجيات المتعليمن؟

1.4.2. الاشكاليات الفرعية:

ماهي مظاهر الارشاد النفسي التربوي في المؤسسات التربوية التونسية؟

إلى أي مدى ترتقي هذه البرامج إلى مرتبة الجودة من حيث الهيكلة والفاعلية؟

فيما تتمثّل أبرز معوقات صياغة برامج تربوية نفسية في النظام التربوي التونسي؟.

1.5 الفرضيات:

*ببرامج الارشاد النفسي التربوي في المؤسسات التربوية التونسية من مشمولات عديد الأطراف في الفضاء المدرسي.

*غياب منظومة ارشاد نفسي تربوي منظم أفقد التعليم التونسي جودته وعطّل عملية الإحاطة اللازمة بالمتعلمين.

*بعث خطّة مرشد نفسي تربوي في المؤسسات التربوية التونسية أولوية مطلقة في عملية الاصلاح التربوي المرتقبة في تونس.

2. مكونات برامج الإرشاد النفسي التربوي في المؤسسات التربوية التونسية:

رغم التغيرات المتواصلة التي شهدها النظام التربوي التونسي منذ الاستقلال قصد تجويده ومواكبته لمقتضيات العصر وحاجيات الدولة في التحديث، إلا أنه لا يخلو من عدة انتقادات

خاصة في السنوات الأخيرة بفعل الانتكاسة التي شهدها والتي من مظاهرها تدحرج المرتبة الطلائعية عالميا التي كان يتميز بها النظام التربوي التونسي من حيث الجودة. ومن هنا باتت الحاجة ملحة إلى البحث عن علاّت ذلك.

حتما إن الاحاطة النفسية التربوية بالمتعليمن تعد واحدة من العوامل المبررة لمسائلة النظام التربوي التونسي. فالمرشد النفسي التربوي كموظف منعدم في المؤسسات التربوية التونسية، إلا أن البرامج الارشادية قائمة رغم توزعها على عدة فاعلين في المؤسسة وهو ما سنحاول توضيحه فيما يلي:

2.1 برامج وآليات التحليل النفسي التربوي في التعليم الابتدائي:

من أبرز مكونات المدرسة الابتدائية التونسية: المدير، المعلمون، المتعلمون والحارس الذي له عدة مهام مثل الحراسة وفتح الباب أو غلقه، التنظيف، إعداد وجبات المتعلمين بالنسبة لبعض المدارس. ويزاول المتعلمون دراستهم في هذه المرحلة مدة 6 سنوات وهم في مرحلة عمرية حساسة جدا. وقد اعتبر 26 معلما من جملة 34 معلما شملتهم الدراسة أن برامج الارشاد النفسي غائبة كليا في المدارس التي يدرّسون فيها، ومع ذلك فهم يقومون بمهمة التدريس والارشاد في آن. فالمعلم في المدراس التونسية قريب جدا من التلميذ وتتمثل مهمته الأساسية في التدريس والتوجيه والارشاد سواء في إطار الدرس الذي يشتمل مدارات اهتمام تهدف إلـىإلى تنشئة المتعلمين على جملة من القيم مثل الاعتدال والتحلي بالقيم النبيلة والتسامح والتفاني في العمل كل ذلك معناه ان الجانب الكبير من عمليات الارشاد مضمنة في الدروس التي يتلقونها.

جدول رق3ـــم: تقييم المعلمين للإرشاد النفسي التربوي في مؤسساتهم

مهنة المستجوب			تقييم الإرشاد النفسي التربوي في المؤسسة التي تشتغل فيها				مجموع
			غياب كلي	موجود لكنه منقوص	برامج فاشلة لا أثر مادي لها	برامج نظرية غير مطبقة	
معلم	الجنس	ذكر	15	4	1	0	20
		أنثى	11	1	1	1	14
		مجموع	26	5	2	1	34

ومن ناحية أخرى فإن المعلم يتولى الاحاطة بالمتعلمين من الناحية النفسية والتربوية، رغم اعتماد طرائق جدّ تقليدية مثل الضرب والصراخ وهي من المسائل التي عايناها في بحوثنا الميدانية حتى أن بعض المعلمين يمسكون بعصا أثناء أداء مهامهم التعليمية، وهذا من شأنه أن يربك المتعليمن ويقوّض استقرارهم النفسي، خاصة في الحالات التي يعاني منها الطفل العنف والتسلّط خارج المؤسسة التربوية. رغم أن القانون المدرسي التونسي يمنع مثل هذه التصرفات ولكنها بقيت متواجدة ولا يزال المعلم في هذا الجانب يحافظ على قسم كبير من الخصائص التقليدية باعتباره رادعا داخل الفضاء المدرسي.

من ناحية أخرى يتدخل المعلم في عمليات التوتر التي تحصل بين التلاميذ، مثلما يعالج بعض الحالات المرضية التي يلاحظها بتوخي عدّة طرائق من نوع اسداء النصائح، التحذير، التهديد، العقاب بمظاهره المتعددة، استدعاء الولي، وفي سؤالنا حول تصرّف المربي في صورة لاحظ تلميذا تبدو عليه بعض العلامات المرضية أقرّ 31 معلما من جملة 34 أنهم يسعون لمساعدته بالطرق المتاحة و فعليا فإن عملية التدخل تتأثر بالمستوى المعرفي وخاصة شخصية المعلم ومدى ايمانه بأهمية الرسالة الموكولة له. وهذا التبرير استنتجناه من الفارق الهائل بين الكثير من المعلمين: فهناك المعلّم السلس في التعامل مع المربين، منهم من يتحلّى بالشدة، البعض يكون قريبا من المتعلمين ويلاطفهم وفي هذا الاطار أفادنا أحد مديري المدارس الابتدائية الذي يؤدي في نفس الوقت مهمة التدريس، أنه كلما رأى التلاميذ يشعرون بالكآبة وقلة التركيز يسعى إلى تنشيط الحصة بالأناشيد ويسعى إلى اضحاكهم عبر مداعبتهم ومن ثمة يدخل في حصة الدرس مستنتجا أن هذه الطريقة كانت مجدية.

وفي الاطار نفسه، فإن التلميذ لا يزال يعتبر أن المعلم هو الأقرب إليه فيشكوه مشاكله، فمثلا بمجرد أن يحدث شجار بين تلميذين فإنهما يشتكيان للمعلم بصفة خاصة ثم المدير ثم حارص المدرسة.أما المدير فغالبا ما يتدخل فـــي ساحة المدرسة ليراقب التلاميذ ويتدخل في الحالات التي يشاهد فيها أمرا ملفتا مثل الهندام أو العنف بين التلاميذ سواء منه المادي أو اللفظي وغالبا ما يسدي النصح والارشاد وفي حالات أخرى يتدخل داخل الفصل من خلال زيارات ارشادية أو توجيهية نصائح وتوجيهات للتلاميذ مثل التقليص من التأخير وحثهم على الدراسة أو دعوتهم لحضور برامج تنشيطية تنظمها المدرسة، وفي أحيان أخرى تكون ذات طابع اعلامي.

هذا وقد لاحظنا أن حارص المدرسة يتدخل بصفة مباشرة داخل الساحة وعلى غرار عمله المتمثل في فتح الباب وحراصة المؤسسة فإنه يحث التلاميذ على عدم الازدحام مثلما يتدخل في تلطيف أجواء الصراع

التي تجصل بينهم وهذا بدوره محكوم بمدى تقبّل التلاميذ له أي حسب مزاجه وشخصيته، فمثلا في "مدرسة بن عون1" لاحظنا أن حارص المدرسة محبوب من قبل المتعلمين ويمزح معهم ويلاطفهم ولكنه في حالات أخرى يتعامل معهم بصراخ حاد وانفعال وهذا ما لا يليق بالفضاء المدرسي ولا بحاجة التلميذ للمعاملة السلسة.

2.2 برامج وآليات الإرشاد النفسي التربوي في الإعدادي والثانوي:

2.2.1. في التعليم الإعدادي:

يجد المتعلم نفسه في التعليم الإعدادي في فضاء مدرسي مختلفا كليا عن التعليم الابتدائي: اختلاف في طبيعة الفضاء أو الطاقم التربوي وحتى طبيعة المواد المدرسة. وهذا الانتقال يستدعي ضرورة توفّر المرشد النفسي التربوي الذي يساعد المتعلمين على الاندماج وسهولة تقبل المؤسسة وضوابط عملها.

ومما يجدر ذكره-هنا-أن تمثّل التلميذ إلى الفضاء الجديد يتزامن مع حالة المراهقة وبناء علاقات جيدة مع مكونات الفضاء، بمعنى أنه سيختلط بزملاء جدد قادمين من عدة مدارس ريفية أو بلدية، وهذا من شأنه أن يخلق علاقات بين الفاعلين تتراوح بين الانسجام والتوتر أحيانا أخرى أو التقبل والرفض الذي تتجلى مظاهره في حالات الشجار وعدم الاكتراث بالدراسة. ومثل هذا الطرح تأكدنا من عبر الوثائق الإدارية التي تحصلنا عليها من الاعداديات والتي لاحظنا فيها كثرة حالات التأخر وإسناد عديد العقوبات تتراوح بين الإنذار والرفت المؤقت والرفت النهائي من الدراسة.

وتأسيسا على ما ذكر، فإن المتعلم في المدارس الإعدادية يبق بحاجة ماسة إلى الإرشاد النفسي التربوي، وعلى اعتبار أنه منعدم في كافة المؤسسات التربوية التونسية فإن الطاقم التربوي رغم عدم تخصصهم في هذا المجال يضطلعون بهذه المهمة وهي في اعتقادنا غير كافية بدليل أنه من جملة 18 أستاذا شملتهم الاستمارة صرّح 14 منهم أن برامج الإرشاد النفسي التربوي غائبة كليا، في حين اعتبر 4 أساتذة أنها موجودة ولكنها منقوصة. وقد اعتبر 83.5% من المستجوبين أن من يتولى عملية الإرشاد النفسي لا يفقه شيئا في ذلك أو ليس له تكوين كاف. والمقصود بالمرشد النفسي هنا هم الأساتذة أنفسهم أو القيمون والمدير ولهذا السبب وجدنا أن نسبة 100% من المستجوبين في كل المؤسسات التربوية بما في ذلك الاعداديات صرحوا بضرورة تفعيل خطة المرشد النفسي التربوي في منظومة الإصلاح التربوية المرتقبة.

وقد تبيّن لنا من خلال جملة المقابلات التي قمنا بها وكذلك الملاحظات التي سجلناها في الفضاء المدرسي أن القيم العام والقيمون هم من يحيطون بالمتعلمين خارج الفصل الدراسي ولكن ليس بالدرجة الكافية كذلك

التي يتولاها المرشد النفسي التربوي. وأمكن ترتيب أهم عمليات الإرشاد النفسي في الاعداديات التي شملتها الدراسة وفق الآتي:

1.إسداء النصح والتوجيه من قبل الأساتذة أثناء حصة الدرس أو من قبل القيمون في ساحة الإعدادية.

2.التوجيه الجماعي من قبل إدارة الإعدادية حيث يتولى المدير أو القيم العام أو أحد القيمون زيارة المتعلمين في حصة الدرس وتوجيههم أو لفت انتباههم إزاء وضعية ما، وخاصة في فترة الامتحانات أو أثناء حدوث طارئ ملفت وتحديدا عند كثرة الغيابات سواء الفردية أو الجماعية أو التأخير أو تسجيل حالة جنوح يكون التلميذ طرفا فيها(سرقة، عنف، مخدرات، سكر، تحرش جنسي، العبث بمؤسسات المؤسسة... الخ) وهي جميعها من الحالات التي حدثت بالفعل ولو بدرجات متفاوتة حسب الجهات من أنحاء الجمهورية مثلما سجلنا في بحوثنا الميدانية بعض الحالات مما ذكرنا.

العقوبات وتتراوح بين الإنذار وصولا إلى الرفت النهائي وقد لاحظنا في هذا الاتجاه أن نسبة العقوبات في صفوف الذكور أعلى بكثير مما هي عليه لدى الإناث فمثلا خلال الثلاثي الأول من السنة الدراسية 2014-2013 وتحديدا في إعدادية الفارابي تم رفت 3 متعلمين رفتا مؤقتا كلهم من فئة الذكور أما في حالات العقوبات الأخرى فتمت معاقبة 6 متعلمين بإنذار و3 حالات رفت مؤقت من القسم وحالة واحدة رفت نهائي. أما في المواظبة فتم تسجيل 122 حالة تأخير نسبة 50 في المائة منها في مستوى السنة 7 أساسي. مثلما ترتفع النسبة في مستوى الذكور مقارنة بالإناث، ومما لاحظناه من خلال هذه المعطيات الإحصائية أن أكبر نسبة في العقوبات كانت لدى مستويات السابعة أساسي أي أولئك الذين قدموا من المدارس الابتدائية فوجدوا صعوبات عدة في التأقلم.

3. مجلس التربية الذي يحال عليه التلميذ إثر ارتكابه لموجبات العقوبة والمتكون من المدير وعدد من الأساتذة والقيم العام ومهمته الأساسية إسداء العقوبات وتوجيه النصح.

2.2.2. في التعليم الثانوي:

يتكون الاطار التربوي في المعاهد التونسية من نفس الاطارات في الاعداديات ينظاف إليها نظّار الدراسات، وبالتالي هناك تقاربا كبيرا في ما تعلق ببرامج الارشاد النفسي التربوي. وعلى اعتبار غياب خطة المرشد التربوي في المعاهد التونسية فإن الاطار التربوي العامل في المؤسسة هو من يتولى القيام بهذه المهمة، كل حسب موقعه.

لقد بينت لنا نتائج البحث الميداني أن المتعلمين في معهد سيدي علي بن عون والبالغ عددهم 736 تلميذا(315 ذكور و 421 إناث) بحاجة ماسة إلى برامج ارشادية تربوية وهذا الأمر تأكدنا منه من خلال المقابلات التي أجريناها مع المتعلمين في بعض الفصول الدراسية، حيث أجابوا ردّا عن سؤالنا: هل تجدون من يصغي إلى مشاكلكم؟ هل تواجكم بعص الصعوبات؟ فتلقينا عديد الاجابات نذكر بعضها، على النحو التالي:

* نحن نعاني القلق والتوتر
* كلما ازدادت مشاكلنا إلا وتقلص ميلنا للدراسة
* بعض الأساتذة والقيمون يعاملوننا بقسوة.
* أثرت الظروف التي تمر بها البلاد في إقبالنا على الدراسة وخاصة بفعل البطالة.
* لا نجد من يصغي إلى مطالبنا مثل نقص النوادي والتنشيط والترفيه.
*نعاني القلق وعدم الارتياح من بعض حصص الدرس.

فهمنا من جملة الإجابات التي قدمها المتعلمون أنهم بحاجة إلى إحاطة نفسية وتربوية خاصة وأنهم في سن مراهقة وتواجههم عديد التحديات(مشاكل أسرية، مشاكل متصلة بالتعلم، مشاكل الاقامة والتنقل، صعوبات مادية، عاطفية، صعوبات التعامل والاندماج...) وعليه فإن في غياب التأطير المدروس للمتعلمين داخل المعهد وخارجه انعكس سلبا على نتائجهم فنسبة الذين تحصلو على معدل في الثلاثي الأول بلغ 44.77% ونسبة الذين كانت معدلاتهم دون 6 بلغت 29 حالة. وهذا التدني في النتائج تبرره عدة عوامل من بينها غياب التأطير والارشاد المدروسين وفق ضوابط عليمة ودراسات ميدانية وكفاءات متخصصة وإرادة سياسية مصممة على تطوير قطاع التعليم.

ومما يجب ذكره في هذا الخصوص، أن الأستاذ في المعاهد التونسية قلق من واقع التعليم وما آل إليه من تردّ في السنوات الأخيرة، فتراه يبذل ما بوسعه لتحسيس المتعلمين بضرورة تدارك مستواهم ويحثهم على مزيد البذل والعطاء وفي حالات أخرى تعمل شريحة واسعة من الأساتذة على اسداء النصح والارشاد للمتعلمين بما في ذلك تقديم العون المادي والمعنوي بالنسبة للحالات الصعبة مثل جمع التبرعات المالية، شراء الأدوات المدرسية وهو نفس الأمر الذي يقوم

به بعض المعلمين عنما تعترضهم حالات صعبة، تقديم نصائح حول وضعيات معينة قصد حثّهم على تخطيها.

مثلما يحرض مديرو المعاهد على توجيه الارشاد الجماعي من خلال زيارة المتعليمن أثناء حصة الدرس أو خارجها وتوزيع الجوائز والشهائد للمتفوقين، في حين أن بعض الاجراءات الأخرى ضلّت بلا جدوى مثل "منظمة التربية والأسرة" التي تعنى بالاهتمام بالمتعليمن ومشاغلهم وكذلك "مجلس المؤسسة" و"التلاميذ نواب الأقسام"، كلها من الاجراءات السطحية التي لم تفعّل ولا أثر مادي لها على الأقل في المؤسسات التربوية التي شملها البحث. ناهيك عن غياب النوادي الترفيهية والتثقيفية وورشات العمل وهي جميعها من العناصر المكونة للمنظومة التربوية التونسة. مثلما يلعب القيمون وخاصة القيم العام دورا هاما في عملية التحفيز واستغلال لقاءاته مع المتعلمين قصد اسداء النصح والارشاد.

3. أهداف برامج الإرشاد النفسي التربوي: الواقع والتحديات

3.1 في حل المشكلات التعليمية:

مثلما سبق أن بينا في المشاهد السابقة، فإن برامج الإرشادي النفسي التربوي في المؤسسات التربوية التونسية غير خاضعة للقياس العلمي والتخصص، أي بمعنى أدق غياب خطّة المرشد النفسي التربوي مثلما هو متعارف عليه في المناهج التربوية العصرية. وعليه فإننا خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات في بحوثنا الميدانية تؤكّد الحاجة للبرامج الإرشادية التربوية في حل المشكلات التعليمية. وفي هذا الاتجاه تبيّن لنا أن غالبية المستجوبين أكدوا على الدور الريادي للمرشد النفسي التربوي في مساعدة المتعلمين على تحسين نتائجهم معتبرين أن التلميذ إذا وجد هذه الإحاطة فإن ذلك سينعكس حتما على نتائجه الدراسية وكل الأجوبة التي قدمها المستجوبون عن السؤال عدد 12 (أهمية المرشد النفسي التربوي) تؤكد ذلك ومنها:

القدرة على مشاركة المجموعة ايجابيا، تقدّم معرفي جيّد، بناء قدرات معرفية قيمة، تعويله على النفس وعدم التواكل، النجاح الدراسي، التعبير عن ذاته، تكوين طفل سويّ الشخصية، تجاوز صعوبات التعلم، معـــرفة أسباب الفشل المدرسي وعلاجها، مساعدته على تجاوز معضلاته، تجاوز حالات الضياع والشرود الذهني، خلق روح المبادرة لديه، حسن التعامل مع المربي، التعويل على الذات، تجاوز الانقطاع المبكر عن الدراسة.

3.2 في حل المشكلات السلوكية الانفعالية:

تبين لنا من خلال الأجوبة المتعلقة بالسؤال 8: لماذا يبق التلميذ بحاجة إلى إحاطة نفسية؟، تأكيد المستجوبين على أن المختص في الإرشاد النفسي التربوي قادر على متابعة سلوك المتعلمين ودراسة الحالات المرضية وسبل الحد منها. وأبرز هذه السلوكيات مثلما سجلناها في فضاء البحث هي: العنف بين التلاميذ، العنف بين التلميذ والمربي، انفعال التلميذ وعدم احترامه للمربين، الخروج التلقائي من حصة الدرس، عدم الامتثال لحرمة المؤسسة، خرق القانون المدرسي الذي يعد مظهرا من مظاهر السلوك الانفعالي مثل عدم احترام اللباس اللائق أو تسريحة الشعر أو تحية العلم... ولأن السلوكيات الانفعالية للمتعلمين يمكن أن تكون لها أسباب خارجة عن الفضاء المدرسي فقد ارتأى ما نسبته 87% من العينة المستجوبة ضرورة متابعة المرشد النفسي التربوي وضعية المتعلم حتى خارج المؤسسة التربوية[7]. وما يحتم هذا الخيار وفق رأي المستجوبين كون أولياء التلاميذ لا يحضرون لمتابعة أبنائهم إلا بدرجات ضئيلة جدا وفي هذا الإطار صرح القيم العام في معهد بن عون أنه من جملة 45 حالة استدعاء ولي لم يحضر إلا 8 أولياء.

3.3 استنتاجات البحث الميداني:

3.3.1. معوّقات تنفيذ برامج الإرشاد النفسي التربوي

من أبرز معوقات تنفيذ برامج التربوي في المؤسسات التعليمية التونسية عموما ومجتمع البحث على وجه الخصوص ما أمكن حصر أهـمه وفق الآتي:

أقرّ 69 مستجوبا من مختلف الاختصاصات أن من يقوم بعملية الإرشاد في المؤسسات التربوية لا يفقهون شيئا في ذلك، ومن هنا يبرز أول عائق متمثلا في انعدام الخبرة والاختصاص. وفي هذا الإطار بينت نتائج الاستبيان أن المرشد النفسي التربوي وجب أن يكون متكونا في أحد الاختصاصات التالية حسب الترتيب: علم النفس، علوم التربية، علم الاجتماع، الخبرة البيداغوجية، أي اختصاص آخر[8].

فشل السياسيات الإصلاحية في مجال التعليم بالبلاد التونسية مما جعل صيحات الفزع تتعالى خاصة من قبل رجال التعليم وهذا ما نقرأه من خلال موقف المستجوبين الذين أقروا بأن أولوية الإصلاح القطاعي في تونس لا بد أن تشمل التعليم في المقام الأول أي ما نسبته 63.25% من مجموع العينة في حين

---

7 هذه الطريقة معمول بها في فلندا حيث أن المختص النفسي التربوي يتابع المتعلّم خارج المؤسسة بل ويُمنح الأطفال في روض الأطفال أرقام هاتف مجانية قصد تمكينهم من الإبلاغ عن أي عنف يتهددهم ولو من طرف أفراد أسرهم ويتم تدريبهم منذ حداثة سنهم على كيفية الاتصال.

8 مضمون السؤال رقم 13 من الاستمارة، حيث قدمنا 5 مقترحات وطلبنا من المستجوب ترتيبها حسب الأولوية.

أن المجال الاقتصادي احتل المرتبة الثانية في اختيارات المستجوبين وهذا أمر منطقي على اعتبار أنه لا يمكن القيام بأي جهد تنموي في البلاد إلا بتوفّر التنمية الاقتصادية والتمويل.

غياب الولي على المؤسسة التربوية من العوامل المساهمة في فشل برامج الإرشاد النفسي في المؤسسة التربوية، إذ قلّما يحضر ولي المتعلم ليواكب ابنه في الفضاء المدرسي وهذا الأمر له ما يبرره.[9]

3.3.2. هندسة برامج الإرشاد النفسي التربوي على ضوء نتائج البحث

إن منظومة التربية في تونس بحاجة إلى تدخل عاجل من قبل الدولة قصد تدارك الوضع، ولعل من أبرز المسائل التي وجب التدخل فيها ما تعلّق بتفعيل برامج الإرشاد النفسي التربوي. وعليه فأن أبرز التوصيات التي خلصنا لها فيما تعلّق بهندسة أي صياغة برامج الإرشاد النفسي التربوي هي وفق الآتي:

1.تفعيل خطّة المرشد التربوي في المؤسسات التربوية على أن يكون له تكوين كاف في هذا المجال من الناحية النظرية والعملية.

2.الانفتاح على تجارب البلدان الرائدة في هذا المجال قصد الاستفادة منها.

3.بعث مكاتب خاصة للمرشد النفسي التربوي في كل مؤسسة تربوية على أن تمنح له صلاحيات كافية لممارسة عمله.

4.أن يتدخّل المرشد النفسي التربوي في كل جزئيات العمل داخل المؤسسة كلما ارتأى ضرورة ذلك وهذا ما تفطّن له قسم كبير من المستجوبين حيث اعتبر 55 فردا منهم أنه بإمكان المرشد أن يحضر حصص الدرس في حين عارضت البقية وذلك في اعتقادنا راجع إلى عدم إدراكهم لسبب حضوره، مثلما اعتبر 72 عنصرا من العينة أنه لا بد من تشريك المرشد النفسي التربوي في هندسة الفضاء التربوي مثل توزيع ساعات الدرس، توزيع القاعات والتدخل في مظهرها، ترتيب ساحة المؤسسة التربوية، استقبال المتعلمين، في حين أن 64 مستوجبا من العينة أقروا بأنه لا يمكن إسناد أي عقوبة للمتعلم إلا بحضور المرشد التربوي.

5.توثيق العلاقة بين المرشد النفسي التربوي والمتعلم وأفراد أسرته من ناحية ثانية مع اعتماد تقنيات الاتصال الحديثة في ذلك.

9راجع في هذا الشأن سعيد الحسين عبدولي، المدرسة والمستقبل في تصورات تلامذة بيئة ريفية: منطقة سيدي علي بن عون من ولاية سيدي بوزيد مثالا تطبيقيا، أطروحة دراسات معمقة، علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 9 جوان 2006.

6.تكوين مركز دراسات عبارة عن مجمع من العلماء والبحّاث في العلوم الاجتماعية والتربوية والنفسية وكل ما له صلة بالفضاء التربوي قصد القيام بدراسات ميدانية ومخبرية تتصل بالمجال ويشرف في نفس الوقت على التكوين المستمر للمرشدين.

خاتمة:

إن تفعيل الإرشاد النفسي التربوي من الأولويات المطلقة التي يتطلبها قطاع التعليم في تونس، ذاك أنه من المقاصد الضرورية التي تساهم في خلق الإنسان النوع الذي أشرنا إليه في مقدمة مقالنا.

إن تعقيدات الحياة اليوم والصعوبات التي يتعرض لها المتعلمون في معيشهم اليومي، تستدعي ضرورة تدخل عنصر يلطّف هذا المناخ ويحمل المتعلمين إلى برّ الأمان، بحكم أن التربية تمثل أهم وأخطر ممارسة حضارية يقوم بها الإنسان، وجب القيام بها بعيدا عن الارتجال والعشوائية. ولا يكون ذلك إلا بتسليط أضواء العقل على العمل اليومي الذي نقوم به داخل فصولنا، قصد ترشيده والرفع من مستوى كفايته[10] وهذا ما يستدعي ضرورة تفعيل خطّة المرشد النفسي التربوي في تونس لأن المتعلمين بأمسّ الحاجة إليها، مثلما دلت على ذلك نتائج الاستبيان والعمل الميداني.

ومن كل ذلك نخلص إلى أن الارتقاء الحضاري لا يمكن أن يكون خارج سلّم المعرفة باعتبارها صناعة تستلزم تضافر المجهودات قصد الإعداد لجيل قادر على الفعل والعطاء لا التواكل والتقاعس، وأن من شروط تحقيق تلك الغايات تفعيل الاستثمار في الإنسان عبر تجويد مناهجنا الدراسية.

المراجع:

1. أحمد شبشوب، **الأسس النظرية للتربية والتدريس**، التونسية للطباعة وفنون الرسم، تونس، 1988.

2. فؤاد على العاجز، **الإرشاد التربوي في المدارس الأساسية العليا والثانوية بمحافظات غزه واقع ومشكلات وحلول**، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزه، بلا تاريخ.

3. جرادات عزت وأبو غزالة، **الحلقة الدراسية في " نحو تطوير الإرشاد والتوجيه الطلابي** "، قسم الإرشاد التربوي، عمان، 1982.

4. وزارة التربية، **الكتابة العامة، الإدارة العامة للدراسات والتخطيط، إحصائيات التربية، الجمهورية التونسية**، السنة الدراسية 2011-2010.

5. حسن إبراهيم حسن الحمداوي، **محاضرات لمادة الإرشاد النفسي والتربوي**، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، قسم العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية، 2008.

6. حكيم ثابت كامل، **دور الإرشاد التربوي في تحقيق أهداف التعليم الأساسي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1990.

7. وثائق إحصائية من المؤسسات التعليمية التي شملها البحث.

10 أحمد شبشوب، الأسس النظرية للتربية والتدريس، التونسية للطباعة وفنون الرسم، تونس، ص 5.